العدد 21A 2 تموز 2026
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
NO.21A2 Jul.2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

المعالم التاريخية في مدينة بغداد من خلال كتاب 'مرآة الزمان' لسبط ابن الجوزي (ت 654هـ) – دراسة في التاريخ العمراني والاجتماعي"

جاسب عبد الامير عكاب الخفاجي
jasbkab7@gmail.com
المديرية العامة لتربية في ذي قار

الملخص:
يتناول هذا البحث المعالم التاريخية في مدينة بغداد من خلال كتاب *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان* لسبط ابن الجوزي (ت 654هـ)، مع التركيز على البعدين العمراني والاجتماعي للمدينة في العصر العباسي. وهدف البحث إلى الكشف عن صورة بغداد بوصفها حاضرة إسلامية كبرى جمعت بين الوظائف السياسية والدينية والعلمية والاقتصادية، وبيان دور المعالم التاريخية في تشكيل الحياة اليومية لسكانها. اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي من خلال تتبع النصوص الواردة في الكتاب، وتحليل ما تضمنته من إشارات تتعلق بالمساجد والجوامع، والمدارس والربط والخوانق، والقصور والدور الرسمية، والأسواق والخانات، والجسور والطرق، والأحياء السكنية، إضافة إلى التحولات العمرانية والاجتماعية التي شهدتها المدينة.
وتوصل البحث إلى أن بغداد مثلت نموذجًا متقدمًا للمدينة الإسلامية في العصور الوسطى، حيث أسهمت مساجدها في أداء وظائف دينية وتعليمية واجتماعية، بينما أدت المدارس والمؤسسات العلمية دورًا مهمًا في نشر المعرفة وتخريج العلماء. كما كشفت الأسواق والخانات عن ازدهار النشاط التجاري واتصال بغداد بمراكز العالم الإسلامي، في حين ساعدت الجسور والطرق على تحقيق الترابط الداخلي للمدينة. وأظهرت الدراسة كذلك أن بغداد تأثرت بالاستقرار السياسي والاضطرابات والكوارث الطبيعية، مما انعكس مباشرة على عمرانها وأوضاع سكانها. وأثبت كتاب *مرآة الزمان* أهميته بوصفه مصدرًا ثريًا لدراسة التاريخ الحضري والاجتماعي، لا يقتصر على تسجيل الأحداث السياسية فقط، بل يقدم صورة حية لمدينة بغداد في مراحل متعددة من تاريخها.

الكلمات المفتاحية
بغداد، مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، التاريخ العمراني، العصر العباسي.

Abstract
This study examines the historical landmarks of Baghdad through the book Mir'at al-Zaman fi Tawarikh al-A'yan by Sibt Ibn al-Jawzi (d. 654 AH), with a focus on the urban and social dimensions of the city during the Abbasid era. The research aims to reveal the image of Baghdad as a major Islamic metropolis that combined political, religious, scientific, and economic functions, and to clarify the role of historical landmarks in shaping the daily life of its inhabitants. The study adopts the historical-analytical method by tracing and analyzing references in the source related to mosques, grand mosques, schools, ribats, khanqahs, palaces, official residences, markets, khans, bridges, roads, residential quarters, and the urban and social transformations experienced by the city.
The study concludes that Baghdad represented an advanced model of the Islamic medieval city, where mosques performed religious, educational, and social roles, while schools and scholarly institutions contributed significantly to the spread of knowledge and the training of scholars. Markets and khans reflected commercial prosperity and Baghdad's connection with the wider Islamic world, whereas bridges and roads ensured internal urban cohesion. The research also shows that Baghdad was deeply affected by political stability, conflicts, and natural disasters, all of which directly influenced its urban structure and social conditions. Furthermore, Mir'at al-Zaman proved to be a rich source for studying urban and

social history, as it provides a vivid picture of Baghdad beyond merely recording political events.

Keywords:
Baghdad, Mir'at al-Zaman, Sibt Ibn al-Jawzi, Urban History, Abbasid Era.

مقدمة البحث

تُعدُّ مدينة بغداد واحدة من أعظم المدن التي عرفها التاريخ الإسلامي، بل يمكن عدّها من أهم الحواضر العالمية التي ارتبط اسمها بالعلم والسياسة والعمران والتجارة والثقافة لقرون طويلة. فمنذ أن أسسها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة 145هـ/762م، أصبحت مركزًا للخلافة العباسية، ومهوى أفئدة العلماء والفقهاء والأدباء والتجار والرحالة، وموطنًا لتجارب عمرانية فريدة امتزجت فيها الرؤية السياسية بالحاجة الاقتصادية والذوق الحضاري. ولم تكن بغداد مجرد عاصمة إدارية، بل كانت كيانًا حضاريًا نابضًا بالحياة، تتداخل فيه الأسواق مع المدارس، والمساجد مع القصور، والجسور مع الأحياء السكنية، لتنتج صورة مدينة متكاملة أثرت في محيطها الإسلامي والإنساني.

وقد أولى المؤرخون المسلمون بغداد عناية واسعة، فوصفوا معالمها، وسجلوا أخبارها، ونقلوا تحولات عمرانها، ودوّنوا ما شهدته من ازدهار أو تراجع. ومن بين هؤلاء المؤرخين يبرز سبط ابن الجوزي صاحب كتاب **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، وهو من المصادر التاريخية المهمة التي امتازت بسعة مادتها، وتنوع أخبارها، واهتمامها بالأحداث السياسية والاجتماعية والعمرانية. وقد عاش المؤلف في القرن السابع الهجري، وهو عصر شهد تغيرات كبيرة في العالم الإسلامي، الأمر الذي منح كتابه قيمة خاصة، لأنه نقل صورة قريبة زمنيًا من التحولات التي أصابت بغداد في أواخر العصر العباسي.

إن دراسة المعالم التاريخية في مدينة بغداد من خلال كتاب *مرآة الزمان* تفتح بابًا مهمًا لفهم التاريخ العمراني والاجتماعي للمدينة؛ إذ لا يمكن قراءة تاريخ بغداد من خلال الأحداث السياسية وحدها، لأن المدينة تُعرف أيضًا بشوارعها وأسواقها ومساجدها ومدارسها وربطها وخاناتها ومقابرها وأحيائها السكنية ومظاهر الحياة اليومية فيها. فالمعلم التاريخي ليس بناءً جامدًا، بل هو شاهد على طبيعة المجتمع، وعلى أنماط العلاقات الاقتصادية، وعلى الذوق الفني، وعلى مستوى التنظيم الإداري، وعلى قدرة السلطة في إدارة الفضاء الحضري.

كما أن كتاب *مرآة الزمان* لا يكتفي بذكر أسماء الأبنية والمنشآت، بل يربطها غالبًا بأصحابها، وبوظائفها، وبالأحداث التي وقعت فيها أو حولها، مما يمنح الباحث مادة ثرية لدراسة بغداد بوصفها مدينة حية تتحرك داخل الزمن، لا مجرد مجموعة من الآثار الجامدة. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى استنطاق نصوص سبط ابن الجوزي، وتحليل ما ورد فيها من إشارات عمرانية واجتماعية، للكشف عن صورة بغداد كما بدت في مرآة مؤرخ عاش قريبًا من زمنها، وأدرك شيئًا من تحولات مجدها وأزماتها.

ويحاول هذا البحث أن يربط بين المعالم التاريخية المادية وبين دلالاتها الاجتماعية، لأن المسجد مثلًا ليس مكانًا للعبادة فقط، بل مركز للتعليم والتواصل الاجتماعي، والسوق ليس موضعًا للبيع والشراء فحسب، بل مجال للحراك الطبقي والتفاعل الثقافي، والمدرسة ليست مؤسسة تعليمية مجردة، بل أداة لإنتاج النخب العلمية وترسيخ المذاهب الفكرية، والقصور ليست أبنية مترفة فقط، بل تعبير عن السلطة والهيبة السياسية.

وعليه، فإن هذا البحث يتناول مدينة بغداد من زاوية تجمع بين التاريخ العمراني والاجتماعي، مستفيدًا من مادة كتاب *مرآة الزمان*، ومسترشدًا بمناهج البحث التاريخي والتحليل الحضري، للوصول إلى فهم أعمق لطبيعة المدينة العباسية، ولموقعها في التاريخ الإسلامي.

مشكلة البحث وتساؤلاته

تنبع مشكلة البحث من أن كثيرًا من الدراسات التي تناولت مدينة بغداد ركزت على تاريخها السياسي أو دورها الثقافي العام، في حين لم تحظَ المعالم التاريخية فيها بدراسة كافية من خلال المصادر التاريخية السردية التي يمكن أن تقدم صورة حيّة عن العمران ووظائفه الاجتماعية. كما أن كتاب *مرآة الزمان*، على أهميته، لم يُستثمر بالقدر الكافي في دراسة بغداد من منظور عمراني واجتماعي، رغم ما يتضمنه من إشارات ثمينة تتعلق بالمنشآت، والأحياء، والأسواق، والمؤسسات الدينية والعلمية، والأحداث المرتبطة بها.

وتكمن المشكلة أيضًا في أن المعالم التاريخية لا تُفهم بمجرد حصر أسمائها، بل تحتاج إلى تحليل وظيفتها، وسياق إنشائها، وعلاقتها بالمجتمع، ومدى تأثرها بالظروف السياسية والاقتصادية. ومن هنا يسعى البحث إلى تجاوز الوصف السطحي للمعالم نحو قراءة تاريخية تحليلية تُبرز العلاقة بين المكان والإنسان.

وانطلاقًا من ذلك، يمكن صياغة تساؤلات البحث على النحو الآتي:
ما صورة مدينة بغداد العمرانية كما عكسها كتاب *مرآة الزمان* لسبط ابن الجوزي؟
ما أبرز المعالم التاريخية التي ذكرها المؤلف داخل بغداد، وما طبيعتها ووظائفها؟
كيف أسهمت المساجد والمدارس والأسواق والقصور والجسور في تشكيل الحياة الاجتماعية داخل المدينة؟
إلى أي مدى تكشف نصوص *مرآة الزمان* عن التحولات العمرانية التي شهدتها بغداد في أواخر العصر العباسي؟
ما العلاقة بين ازدهار المعالم العمرانية واستقرار الدولة، أو تراجعها واضطراب الأوضاع السياسية؟
كيف يمكن الإفادة من كتاب *مرآة الزمان* بوصفه مصدرًا لدراسة التاريخ الحضري والاجتماعي لبغداد؟
وهل كان سبط ابن الجوزي ناقلًا للأخبار فقط، أم قدّم رؤية ضمنية لطبيعة المدينة وأحوالها؟
هذه التساؤلات تمثل الإطار الذي يتحرك فيه البحث، وتسعى فصوله ومباحثه إلى تقديم إجابات علمية دقيقة عنها.

أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث في جوانب متعددة، علمية وتاريخية ومنهجية، تجعل منه موضوعًا جديرًا بالدراسة والاهتمام.
أولًا، تنبع أهميته من أهمية مدينة بغداد نفسها، فهي عاصمة الخلافة العباسية، وواحدة من أكثر المدن تأثيرًا في التاريخ الإسلامي. وقد مثّلت نموذجًا متقدمًا للمدينة الإسلامية من حيث التخطيط العمراني، وكثافة المؤسسات، وتنوع النشاط الاقتصادي، واتساع الحياة العلمية. ومن ثم فإن دراسة معالمها التاريخية تعني دراسة جانب مهم من حضارة الإسلام الوسيطة.
ثانيًا، يكتسب البحث أهميته من اعتماده على مصدر تاريخي مهم هو كتاب *مرآة الزمان*، الذي يُعد من المراجع الكبرى في التاريخ الإسلامي. والعودة إلى هذا المصدر تمنح الدراسة أصالة علمية، لأنها تعتمد على نصوص قريبة من زمن الأحداث، وتنقل أخبارًا ذات قيمة توثيقية عالية.
ثالثًا، يبرز البحث أهمية الربط بين التاريخ العمراني والتاريخ الاجتماعي؛ إذ إن الأبنية والمنشآت ليست مجرد شواهد حجرية، بل هي انعكاس مباشر لبنية المجتمع، ومستوى اقتصاده، وتنظيمه الإداري، وذوقه الحضاري. ومن هنا فإن دراسة المعالم التاريخية تساعد في فهم الإنسان الذي أنشأها وعاش فيها.
رابعًا، يفيد البحث في إبراز دور المؤسسات الدينية والعلمية والاقتصادية في تشكيل المدينة، مثل المساجد والمدارس والأسواق والخانات، وهي مؤسسات لعبت أدوارًا مركزية في الحياة اليومية لسكان بغداد.
خامسًا، تسهم هذه الدراسة في إثراء المكتبة العربية بدراسة متخصصة تجمع بين التحقيق النصي والتحليل الحضري، وتفتح المجال أمام دراسات مشابهة لمدن إسلامية أخرى من خلال كتب التراجم والتواريخ.
سادسًا، للبحث أهمية معاصرة أيضًا، لأن فهم تاريخ بغداد العمراني يرسخ الوعي بقيمة التراث الحضاري للمدينة، ويعزز جهود الحفاظ على هويتها التاريخية في الحاضر.

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية الواضحة، من أبرزها:
التعريف بصورة مدينة بغداد كما وردت في كتاب *مرآة الزمان*.
حصر أبرز المعالم التاريخية التي ذكرها سبط ابن الجوزي داخل المدينة.
تحليل الوظائف العمرانية والاجتماعية لتلك المعالم، وبيان أثرها في حياة السكان.
إبراز العلاقة بين العمران والسلطة السياسية في بغداد العباسية.
الكشف عن التحولات التي أصابت المدينة من خلال أخبار البناء والهدم والتجديد والخراب.
إظهار دور الأسواق والمؤسسات التعليمية والدينية في تشكيل البنية الاجتماعية.
تقويم قيمة كتاب *مرآة الزمان* بوصفه مصدرًا لدراسة التاريخ الحضري.
تقديم دراسة يمكن أن تكون منطلقًا لأبحاث لاحقة حول بغداد أو غيرها من المدن الإسلامية.

منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على منهجية علمية تجمع بين أكثر من منهج، بما يتناسب مع طبيعة الموضوع ومادته المصدرية.
أولًا، المنهج التاريخي التحليلي، وهو الأساس في هذه الدراسة، إذ يقوم على جمع النصوص الواردة في كتاب *مرآة الزمان* المتعلقة ببغداد ومعالمها، ثم تحليلها وربطها بسياقها الزمني والسياسي والاجتماعي.
ثانيًا، المنهج الوصفي، من خلال وصف المعالم التاريخية المذكورة، مثل المساجد والأسواق والمدارس والقصور والجسور، وبيان خصائصها ووظائفها.

ثالثًا، المنهج المقارن، وذلك بمقارنة ما أورده سبط ابن الجوزي بما ورد في مصادر أخرى عند الحاجة، مثل كتب الخطيب البغدادي، وياقوت الحموي، وابن الأثير، وغيرهم، من أجل التثبت أو الإضافة أو بيان الفروق.
رابعًا، منهج التاريخ الحضري، الذي ينظر إلى المدينة بوصفها وحدة اجتماعية وعمرانية متكاملة، ويحلل العلاقة بين الفضاء العمراني والحياة الاجتماعية.
وقد جرى في البحث اتباع خطوات عملية تبدأ بجمع المادة العلمية، ثم تصنيفها موضوعيًا، ثم تحليلها، ثم صياغة النتائج في إطار علمي مترابط.

أسباب اختيار موضوع البحث

جاء اختيار هذا الموضوع لعدد من الأسباب العلمية والشخصية والمعرفية.
أول هذه الأسباب المكانة الكبرى التي تحتلها بغداد في التاريخ الإسلامي، فهي ليست مدينة عادية، بل رمز حضاري وثقافي وسياسي استمر تأثيره قرونًا طويلة.
وثانيها الرغبة في دراسة التاريخ من زاوية مختلفة، لا تقتصر على الخلفاء والحروب والصراعات السياسية، بل تتجه إلى المدينة ذاتها، وإلى الناس الذين عاشوا فيها، وإلى معالمها التي شكّلت حياتهم اليومية.
وثالثها أهمية كتاب *مرآة الزمان* وما يضمه من مادة غنية لم تنل حظها الكافي من الدراسة المتخصصة في الجانب العمراني والاجتماعي.
ورابعها قلة الدراسات التي تجمع بين المعالم التاريخية والتاريخ الاجتماعي لبغداد اعتمادًا على مصدر واحد يُقرأ قراءة تحليلية معمقة.
وخامسها أن الموضوع يتيح للباحث ممارسة أدوات متعددة في البحث، مثل التحليل التاريخي، والاستقراء النصي، والربط الحضري، وهو ما يمنحه قيمة علمية متميزة.
وسادسها الإيمان بأن دراسة تراث المدن الإسلامية تسهم في تعزيز الوعي الحضاري، وربط الحاضر بالماضي على أسس علمية رصينة.

تقسيمة خطة البحث

المبحث الأول: المعالم العمرانية والدينية والعلمية في مدينة بغداد من خلال كتاب *مرآة الزمان*
المطلب الأول: المساجد والجوامع ودورها الديني والاجتماعي
المطلب الثاني: المدارس والربط والخوانق والمؤسسات العلمية
المطلب الثالث: القصور والدور والمنشآت العامة

المبحث الثاني: المعالم الاقتصادية والاجتماعية وأثرها في حياة سكان بغداد
المطلب الأول: الأسواق والخانات والحركة التجارية
المطلب الثاني: الجسور والطرق والأحياء السكنية
المطلب الثالث: التحولات العمرانية والاجتماعية في بغداد

المبحث الأول: المعالم العمرانية والدينية والعلمية في مدينة بغداد من خلال كتاب مرآة الزمان

تمثل مدينة بغداد إحدى أبرز الحواضر الإسلامية التي ازدهرت في التاريخ الوسيط، وقد اكتسبت مكانتها منذ أن اختارها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور عاصمة لدولته، فغدت مركزًا للسلطة، ومنارة للعلم، ومحورًا للتجارة، وموضعًا للتفاعل الاجتماعي والثقافي. ولم تكن بغداد مدينة سياسية فحسب، بل كانت كيانًا عمرانيًا بالغ التعقيد، تشكل عبر القرون من خلال منشآت متعددة الوظائف، ضمت المساجد والجوامع والمدارس والربط والخوانق والقصور والدور والأسواق والجسور والمكتبات والمرافق العامة. ولهذا فإن دراسة بغداد من منظور عمرانها ومؤسساتها تكشف جوانب عميقة من طبيعة المجتمع العباسي، ومن أنماط الحياة اليومية التي عاشها سكانها[1].
ويُعد كتاب *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان* لسبط ابن الجوزي من المصادر التاريخية ذات القيمة الكبرى في هذا المجال، إذ لم يقتصر مؤلفه على تسجيل الوقائع السياسية أو أخبار الخلفاء والوزراء، بل ضمّن تاريخه إشارات متفرقة

[1] سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزغلي بن عبد الله. (2013). *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان* (تحقيق: محمد بركات وآخرون، الأجزاء 1–10). دمشق: دار الرسالة العالمية.

وثمينة إلى الأبنية والمنشآت والمعالم التي كانت تشكل صورة بغداد في عصره وفي العصور السابقة له. وقد وردت تلك الإشارات ضمن حوادث السنين، أو في تراجم العلماء والقضاة والأمراء، أو عند الحديث عن تأسيس مدرسة، أو تجديد مسجد، أو بناء قصر، أو اندثار موضع، وهو ما يمنح الباحث مادة خصبة لإعادة تركيب المشهد الحضري للمدينة.

إن المعالم العمرانية ليست مجرد أبنية من حجر وطين وآجر، بل هي مرآة حقيقية للمجتمع الذي أنشأها. فالمسجد يعكس مكانة الدين في الحياة العامة، والمدرسة تكشف عن اهتمام الدولة والعلماء بالمعرفة، والخانقاه تشير إلى حضور التصوف ومؤسساته، والقصر يدل على طبيعة السلطة وهيبتها، والدار تكشف عن البنية الاجتماعية والاقتصادية للأسرة والطبقة المالكة. ومن هنا فإن قراءة بغداد من خلال معالمها تعني قراءة المجتمع البغدادي نفسه[2].

وقد تميزت بغداد بكونها مدينة متعددة الطبقات العمرانية، إذ ضمت إلى جانب الأبنية الرسمية منشآت أهلية أنشأها الوزراء والأثرياء والعلماء، كما احتوت على مؤسسات وقفية كان لها دور أساسي في استمرار التعليم والرعاية الاجتماعية. وكان كثير من هذه المعالم يتجدد مع الزمن، فيُرمم إذا تهدم، ويُوسّع إذا ضاق، ويُنقل إليه التدريس أو الإمامة إذا اشتهر، أو يُهجر إذا ضعفت الحركة من حوله. ولهذا فإن المدينة كانت في حالة حركة دائمة، لا تعرف الجمود.

كما أن بغداد، بسبب موقعها المركزي وثقلها السياسي، كانت عرضة لتأثيرات الأحداث الكبرى؛ فالاستقرار السياسي كان ينعكس مباشرة على عمرانها، فتكثر أعمال البناء والتوسعة والزخرفة، بينما تؤدي الفتن والفيضانات والصراعات إلى الخراب والإهمال وتراجع النشاط العام. وقد نقل سبط ابن الجوزي صورًا متعددة من هذه التحولات، مما يجعل كتابه شاهدًا مهمًا على العلاقة الوثيقة بين العمران والسلطة.

وسيتناول هذا المبحث أبرز المعالم العمرانية والدينية والعلمية في بغداد من خلال ما ورد في *مرآة الزمان*، وذلك عبر ثلاثة مطالب رئيسة. يختص أولها بالمساجد والجوامع ودورها الديني والاجتماعي، ويتناول ثانيها المدارس والربط والخوانق والمؤسسات العلمية، أما ثالثها فيبحث في القصور والدور والمنشآت العامة، ودلالاتها السياسية والعمرانية. ومن خلال ذلك تتضح صورة بغداد بوصفها مدينة نابضة بالحياة، تتكامل فيها الوظائف الدينية والعلمية والإدارية والاجتماعية[3].

المطلب الأول: المساجد والجوامع ودورها الديني والاجتماعي

احتلت المساجد والجوامع مكانة مركزية في مدينة بغداد، ولم تكن هذه المكانة نابعة من وظيفتها التعبدية وحدها، بل لأنها مثلت القلب النابض للحياة العامة، والمجال الذي يلتقي فيه الناس على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم وأعمالهم. فمنذ تأسيس المدينة، حرص الخلفاء العباسيون على إنشاء المساجد الكبرى وربطها بالمراكز السكانية والإدارية، فكان المسجد جزءًا من التخطيط الحضري، وليس مجرد بناء مستقل.

ويظهر من خلال *مرآة الزمان* أن الجوامع الكبرى في بغداد كانت تُذكر عند الحديث عن الأحداث العامة، أو عند وفاة الأئمة والخطباء، أو عند تعيين القضاة والمدرسين، أو عند وقوع الحرائق والفيضانات، مما يدل على مركزيتها في الوعي الجمعي للمدينة. وكان الجامع الكبير، سواء في الجانب الشرقي أو الغربي، يمثل ساحة رمزية للسلطة الدينية والسياسية معًا، إذ تُلقى فيه خطبة الجمعة باسم الخليفة، وتُعلن فيه أحيانًا القرارات المهمة، وتُقرأ فيه الرسائل الرسمية، ويجتمع فيه الناس في الأزمات[4].

ومن أبرز المساجد التي ارتبطت بتاريخ بغداد جامع المنصور، الذي كان من أوائل الجوامع الجامعة في المدينة المدورة. وقد ارتبط اسمه بمؤسس العاصمة نفسها، وظل رمزًا تاريخيًا لعظمة الدولة العباسية الأولى. ثم برزت جوامع أخرى مع اتساع المدينة، مثل جامع الرصافة وجوامع المحلات الكبرى، فأصبحت بغداد تضم شبكة واسعة من المساجد تخدم الأحياء والأسواق ومناطق السكن.

وكان المسجد يؤدي دورًا اجتماعيًا بالغ الأهمية، إذ كان موضع لقاء يومي للسكان. ففيه يتعارف الناس، وتُحل بعض الخصومات، وتُتداول الأخبار، ويُعرف الغائب من الحاضر، ويُعين المحتاج، ويُستقبل الغريب. وقد كان كثير من سكان

2

3 ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد .(1992) *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم* (تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا). بيروت: دار الكتب العلمية.

4 الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت .(2001) *تاريخ بغداد* (تحقيق: بشار عواد معروف). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الأحياء يعرف بعضهم بعضًا من خلال صلاة الجماعة، ولذلك ساهم المسجد في تقوية الروابط الاجتماعية وإنتاج نوع من الرقابة الأخلاقية داخل المجتمع[5].

كما كان المسجد مركزًا للتعليم، وهذا جانب تؤكده الأخبار المتناثرة في *مرآة الزمان* عند ذكر العلماء والمحدثين والفقهاء. فكثير من حلقات الدرس كانت تُعقد في الجوامع، حيث يجلس الشيخ إلى سارية أو في صدر المسجد، ويجتمع حوله الطلبة والعامة. وكان التدريس في المسجد يشمل علومًا متعددة، مثل الفقه والحديث والتفسير واللغة والوعظ. وقد نشأت في بغداد تقاليد علمية عريقة داخل المساجد قبل ظهور المدارس النظامية وبعدها أيضًا.

وكان للخطباء والوعاظ حضور واسع في الجوامع، وقد أشار سبط ابن الجوزي في مواضع مختلفة إلى شهرة بعض الوعاظ، وكثرة حضور الناس مجالسهم، وتأثر العامة بخطبهم. ويكشف هذا عن أن المسجد لم يكن فضاءً صامتًا، بل مؤسسة تصوغ الرأي العام، وتوجه السلوك، وتؤثر في مشاعر الناس ومواقفهم. وقد كانت خطبة الجمعة على وجه الخصوص مناسبة جامعة، يسمع فيها الناس أخبار السلطة، ويُذكّرون بأحكام الدين، وتُعالج أحيانًا قضايا المجتمع.

ومن الناحية العمرانية، كانت الجوامع الكبرى تتميز بسعتها، ووجود الصحن، والأروقة، والمنابر، والمآذن، ومرافق الوضوء، وربما المكتبات أو خزائن الكتب في بعضها. وكانت أعمال الترميم والتجديد ترد كثيرًا في المصادر، مما يدل على استمرار العناية بها. فالجامع إذا تصدعت جدرانه، أو تضرر سقفه، أو ضاق بالمصلين، بادرت السلطة أو أهل الخير إلى إصلاحه. وهذا يبين أن المجتمع البغدادي كان يرى في صيانة المسجد واجبًا عامًا.

كما لعبت المساجد دورًا مهمًا في الأزمات والكوارث. فإذا وقع فيضان أو حريق أو اضطراب، لجأ الناس إلى المساجد، أو اجتمعوا فيها للدعاء والاستسقاء وطلب الفرج. وفي أوقات الشدائد، كانت المساجد تتحول إلى مراكز تعبئة روحية واجتماعية، وهو ما يبرز مكانتها في الضمير الجمعي[6].

ولا يمكن إغفال البعد المذهبي في بعض مساجد بغداد، إذ كانت المدينة تضم تنوعًا فقهيًا وكلاميًا معروفًا. وقد ارتبطت بعض المساجد بمذاهب معينة أو بعلماء مشهورين، مما جعلها مراكز لاستقطاب الطلبة والأتباع. ومع ذلك بقيت الجوامع الكبرى فضاءات جامعة تتجاوز الانقسامات الجزئية، خاصة في المناسبات العامة.

ومن اللافت أن ذكر المساجد في *مرآة الزمان* يأتي أحيانًا مقرونًا بأسماء أئمة أو قراء أو مؤذنين، وهو ما يعكس وجود جهاز وظيفي متكامل داخل المؤسسة المسجدية. فالمسجد لم يكن مجرد مكان مفتوح، بل مؤسسة لها إمام وخطيب ومؤذن وخادم وربما ناظر على أوقافه. وهذا التنظيم الإداري ساعد على استمرارية دوره وتأثيره.

ومن خلال ذلك كله يمكن القول إن المساجد والجوامع في بغداد كانت تمثل أكثر من دور ديني. لقد كانت مدارس مفتوحة، ومنابر إعلامية، وساحات اجتماعية، ومراكز تضامن أهلي، ورموزًا عمرانية تُعرّف المدينة وتمنحها شخصيتها. ولهذا فإن فهم بغداد لا يكتمل من دون فهم مساجدها، لأنها كانت القلب الذي يضخ الحياة في جسد المدينة[7].

المطلب الثاني: المدارس والربط والخوانق والمؤسسات العلمية

إذا كانت المساجد تمثل الإطار العام للتدين والتعليم الشعبي، فإن المدارس والربط والخوانق مثلت مرحلة أكثر تنظيمًا وتخصصًا في الحياة العلمية والاجتماعية لبغداد. وقد ازدهرت هذه المؤسسات خاصة منذ القرن الخامس الهجري وما بعده، حين ازداد اهتمام الدولة والوزراء والأعيان بإنشاء الأبنية الوقفية المخصصة للعلم والعبادة والإقامة.

وتكشف إشارات *مرآة الزمان* أن بغداد كانت مدينة علمية بامتياز، تضج بحلقات الدرس، وتنافس المدارس، وكثرة العلماء، وتعدد الوظائف المرتبطة بالتدريس والقضاء والإفتاء. وكان تأسيس مدرسة جديدة حدثًا يُذكر في التواريخ، كما يُذكر اسم الواقف، والمدرس الأول، وما يخصص لها من أوقاف، مما يدل على القيمة الرمزية والاجتماعية الكبيرة لهذه المؤسسات.

وتأتي المدرسة النظامية في مقدمة مدارس بغداد شهرةً وتأثيرًا. فقد أسسها الوزير نظام الملك، وكانت من أعظم المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي آنذاك. ولم تكن مجرد مبنى للدراسة، بل مركزًا علميًا يستقطب كبار العلماء والطلبة من مختلف الأقاليم. وارتبط اسمها بأعلام كبار، وأصبحت نموذجًا اقتدت به مدن كثيرة. وتشير أخبار التعيينات والوفيات التي يوردها سبط ابن الجوزي إلى استمرار مكانتها قرونًا بعد تأسيسها.

---

[5] سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزغلي بن عبد الله .(2013) *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان* (تحقيق: محمد بركات وآخرون، الأجزاء 1–10). دمشق: دار الرسالة العالمية.

[6] الجبوري، محمد حسين .(2015) *النظام العمراني لمدينة بغداد في العصر العباسي*. بغداد: جامعة بغداد – كلية الآداب.

[7] ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي .(1995) *معجم البلدان*. بيروت: دار صادر.

وقد قامت المدارس بوظائف متعددة، أولها التعليم المنظم، حيث خُصصت قاعات للتدريس، ورواتب للمدرسين، وأماكن لسكن الطلبة أحيانًا، وخزائن للكتب. وهذا التطور يعني انتقال المعرفة من الطابع الفردي غير المنتظم إلى مؤسسات مستقرة تضمن الاستمرارية. كما ساهمت المدارس في تكوين النخب العلمية التي تولت القضاء والفتيا والإدارة.

وكانت بغداد تضم مدارس متنوعة، لا تقتصر على النظامية، بل ظهرت مدارس أنشأها الخلفاء أو الوزراء أو الأمراء أو العلماء أنفسهم. وبعضها خُصص لمذهب فقهي معين، وبعضها جمع علومًا متعددة. وقد أدى هذا التنوع إلى حركة فكرية نشطة، وإلى تنافس محمود في استقطاب العلماء والطلبة[8].

أما الربط، فقد كانت مؤسسات ذات طابع اجتماعي وديني، تستقبل الغرباء والفقراء وأبناء السبيل، وقد يقيم فيها المتعبدون وطلاب العلم. وكانت الرباطات منتشرة في بغداد وغيرها من المدن الإسلامية، وأسهمت في رعاية فئات تحتاج إلى الإيواء أو المساندة. ويظهر من خلال ذكرها في المصادر أنها كانت جزءًا من نظام التكافل الاجتماعي الذي دعمته الأوقاف.

والخوانق أو الخانقاوات ارتبطت بالحياة الصوفية، وكانت مراكز لإقامة المتصوفة والعباد، ومجالس الذكر، والتربية الروحية. وقد عرفت بغداد حضورًا صوفيًا واسعًا، لذلك لم يكن غريبًا أن تنتشر فيها هذه المنشآت. وكانت بعض الخوانق تتمتع برعاية رسمية، ما يشير إلى اعتراف الدولة بدورها الاجتماعي والديني.

ومن الناحية العمرانية، اتسمت المدارس والخوانق والربط بتخطيط خاص يختلف عن المسجد. فالمدرسة تحتاج إلى حجرات للطلبة، وإيوان أو قاعة للدرس، ومرافق خدمية، وربما ساحة داخلية. والخانقاه تحتاج إلى أماكن إقامة، ومجلس ذكر، ومطبخ، ومخازن. وهذا التنوع العمراني يدل على نضج الخبرة المعمارية في بغداد.

كما أدت هذه المؤسسات دورًا مهمًا في جذب السكان والحركة الاقتصادية إلى الأحياء التي أُنشئت فيها. فالمدرسة الكبيرة تجذب الطلبة، والطلبة يحتاجون إلى كتب وطعام وسكن وخدمات، مما ينعش الأسواق المجاورة. وهكذا كانت المؤسسة العلمية تؤثر في البنية الاقتصادية للحي، لا في الجانب الثقافي وحده.

ويُلاحظ في *مرآة الزمان* أن أخبار العلماء كثيرًا ما ترتبط بأسماء المدارس التي درسوا فيها أو تولوا التدريس بها. وهذا يدل على أن الانتماء المؤسسي أصبح جزءًا من هوية العالم. فلم يعد يكفي أن يكون فقيهًا أو محدثًا، بل يُعرف أيضًا بأنه مدرس النظامية، أو شيخ المدرسة الفلانية، أو ناظر الرباط الفلاني.

ومن الجوانب المهمة كذلك أن هذه المؤسسات قامت على نظام الوقف. فالواقف يخصص عقارًا أو أراضي أو دكاكين يصرف ريعها على رواتب المدرسين، وطعام الطلبة، وصيانة البناء. وهذا النظام وفر استقرارًا ماليًا نسبيًا، وجعل العلم والعمل الخيري جزءًا من البنية الاقتصادية للمدينة.

كما ساهمت المدارس في ترسيخ مكانة بغداد مركزًا عالميًا للمعرفة. فقد كان الطلاب يفدون إليها من خراسان والشام والجزيرة ومصر وغيرها، مما أوجد بيئة متعددة الثقافات. وكان هؤلاء يعودون إلى بلدانهم حاملين علوم بغداد وتقاليدها، وبذلك امتد تأثير المدينة إلى خارج حدودها.

إن المدارس والربط والخوانق لم تكن مباني منفصلة عن المجتمع، بل كانت مؤسسات تصنع الإنسان، وتوفر الرعاية، وتنشر المعرفة، وتخفف الفقر، وتربط الأطراف بالمركز. ولهذا فإن ازدهارها في بغداد يعد دليلًا على عمق الحضارة العباسية وقدرتها على تنظيم الحياة العامة من خلال مؤسسات مستقرة[9].

المطلب الثالث: القصور والدور والمنشآت العامة

إلى جانب المساجد والمدارس، برزت في بغداد معالم أخرى ذات طبيعة سياسية وإدارية واجتماعية، تمثلت في القصور الرسمية، ودور الوزراء والأمراء، والمنشآت العامة المرتبطة بالحكم وإدارة المدينة. وهذه المعالم تكشف وجهًا آخر من وجوه بغداد، هو وجه السلطة والهيبة والتنظيم الإداري.

فالقصور العباسية كانت من أبرز رموز العاصمة، لأنها تمثل مقر الخليفة، ومكان صناعة القرار، ومركز استقبال الوفود، ومسرح الاحتفالات الرسمية. وقد ارتبط اسم بغداد منذ نشأتها بقصر الذهب وغيره من قصور الخلفاء، ثم تعاقبت القصور مع تعاقب الخلفاء وتوسع المدينة. وكانت هذه القصور تُشيَّد بعناية كبيرة، وتُزين بالحدائق والمجالس والبرك والزخارف، لتعكس قوة الدولة ومكانة الخليفة.

---

[8] ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد الجزري .(1997) *الكامل في التاريخ* (تحقيق: عمر عبد السلام تدمري). بيروت: دار الكتاب العربي.

[9] ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي .(1998) *البداية والنهاية* (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي). القاهرة: دار هجر.

ويظهر من خلال *مرآة الزمان* أن ذكر القصور يأتي في سياق أخبار الخلفاء والوزراء، أو عند الحديث عن انتقال الخلافة، أو وقوع حوادث داخل البلاط، أو إصلاح منشأة من منشآت الدولة. وهذا يعني أن القصر لم يكن بناءً ساكنًا، بل مركزًا حيًا تتقاطع فيه السياسة والعمران.

ومن الناحية الرمزية، كان القصر يمثل الدولة ذاتها. فالدخول إليه شرف، والعمل فيه منزلة، والقرب منه نفوذ. ولذلك كانت القصور تحاط بإجراءات أمنية وتنظيمية، ويعمل فيها عدد كبير من الموظفين والخدم والحرس والكتاب. ومن ثم فإن القصر كان مؤسسة إدارية ضخمة بقدر ما هو مسكن للحاكم.

كما عرفت بغداد دورًا فخمة للوزراء والقادة وكبار الأعيان. وهذه الدور كانت أقل شأنًا من القصور الرسمية، لكنها في كثير من الأحيان اتسمت بسعة البناء، وحسن التخطيط، وكثرة الخدم، ووجود المجالس والحدائق. وقد شكلت هذه الدور جزءًا من المشهد الحضري الراقي للمدينة، وعبّرت عن تمايز طبقي واضح داخل المجتمع البغدادي.

وكانت بعض هذه الدور تتحول بعد وفاة أصحابها أو تغير الأحوال إلى مدارس أو ربط أو أوقاف، وهو ما يدل على مرونة العمران في بغداد. فالدار الخاصة قد تصبح مؤسسة عامة، والمبنى السياسي قد يتحول إلى مركز علمي، بحسب تغير الظروف والاحتياجات[10].

أما المنشآت العامة، فتشمل الدواوين، والسجون، والمخازن، وربما البيمارستانات، ومرافق الماء، وبعض الأبنية الخدمية المرتبطة بإدارة المدينة. ورغم أن سبط ابن الجوزي لا يقدم وصفًا معماريًا مفصلًا لها دائمًا، إلا أن ورودها في الأخبار يدل على وجود جهاز عمراني متكامل يخدم سكان العاصمة.

وكان للبيمارستانات مثلًا دور مهم في الرعاية الصحية، وهي من مفاخر الحضارة الإسلامية. وإذا ذُكرت في المصادر عند وفاة طبيب أو تعيين ناظر أو تجديد بناء، فإن ذلك يعكس اهتمام الدولة بالصحة العامة. وكذلك الحال في منشآت المياه والجسور التي ترتبط باستمرار الحياة داخل المدينة.

ومن الجوانب المهمة في دراسة القصور والدور أنها تكشف العلاقة بين العمران والاقتصاد. فبناء قصر كبير يحتاج إلى أموال طائلة، وأيدٍ عاملة، ومواد بناء، وحرفيين من نجارين ونقاشين وحدادين وغيرهم. ولذلك كانت حركة البناء الرسمي تنعش قطاعات واسعة من الاقتصاد الحضري.

كما أن القصور كانت أحيانًا مركزًا للرعاية الثقافية؛ ففيها تُعقد مجالس الأدب، وتُنشد القصائد، ويُستدعى العلماء والمناظرون، وتُناقش شؤون الفكر والسياسة. وهذا يبين أن الفضاء السياسي في بغداد لم يكن منفصلًا تمامًا عن الفضاء الثقافي.

لكن هذه المعالم كانت أيضًا عرضة للتقلبات السياسية. فإذا سقط وزير صودرت داره، وإذا نشب صراع تضررت بعض القصور، وإذا ضعفت الدولة أهملت المباني الرسمية. ومن هنا فإن القصور والدور تمثل سجلًا عمرانيًا لتحولات السلطة، تمامًا كما تمثل المساجد سجلًا لحياة المجتمع.

وعلى مستوى التخطيط الحضري، ساهمت القصور والدور الكبرى في تشكيل أحياء خاصة بالنخبة، وفي توجيه الطرق والأسواق والخدمات نحوها. فالمدينة لا تنمو عشوائيًا، بل تتأثر بمراكز النفوذ داخلها. ولذلك كان لموقع القصر أو دار الوزير أثر في قيمة المنطقة المحيطة، وفي كثافة العمران من حولها.

إن دراسة القصور والدور والمنشآت العامة في بغداد تكشف أن العاصمة العباسية لم تكن مجرد مدينة علم ودين، بل كانت أيضًا مدينة حكم وإدارة وثراء ونفوذ. وقد تداخلت هذه الوظائف جميعًا لتنتج مدينة مركبة، تجمع بين القداسة والمعرفة والسلطة في فضاء واحد[11].

المبحث الثاني: المعالم الاقتصادية والاجتماعية وأثرها في حياة سكان بغداد

إذا كانت المعالم الدينية والعلمية تمثل الجانب الروحي والفكري من شخصية بغداد، فإن المعالم الاقتصادية والاجتماعية تمثل الجانب اليومي الحي الذي تتحرك فيه المدينة وتتنفس من خلاله. فالحاضرة الكبرى لا تقوم على المساجد والمدارس والقصور وحدها، بل تحتاج إلى أسواق نابضة، وطرق منتظمة، وجسور تربط أطرافها، وأحياء سكنية تستوعب سكانها،

---

[10] المقدسي، محمد بن أحمد شمس الدين .(1991) .*أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم* .القاهرة: مكتبة مدبولي.

[11] ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي .(2002) .*رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار* . بيروت: دار صادر.

ومرافق عامة تضمن استمرار الحياة فيها. ومن هنا فإن دراسة بغداد من خلال بعدها الاقتصادي والاجتماعي تكشف طبيعة المدينة بوصفها مجتمعًا متكاملًا، لا مجرد عاصمة سياسية.

وقد عُرفت بغداد منذ تأسيسها بأنها مركز تجاري عالمي، اجتمعت فيها طرق البر والنهر، ووصلت إليها قوافل المشرق والمغرب، وحملت إليها السفن بضائع الهند والصين وفارس وبلاد الشام والجزيرة ومصر. وكان موقعها على نهر دجلة عاملًا حاسمًا في هذا الازدهار، إذ أتاح سهولة النقل والتجارة، وربط المدينة بشبكة واسعة من الموانئ والأنهار والطرق الداخلية. ولذلك أصبحت بغداد سوقًا كبرى للعالم الإسلامي، ومكانًا تتلاقى فيه السلع والثقافات واللغات[12].

ويكشف كتاب *مرآة الزمان* لسبط ابن الجوزي، من خلال أخباره المتفرقة، عن كثير من ملامح هذا النشاط الاقتصادي والاجتماعي. فعند الحديث عن الأسعار، أو الحرائق، أو الفتن، أو فيضانات دجلة، أو بناء جسر، أو خراب محلة، أو ازدهار سوق، تظهر صورة المدينة في حركتها اليومية. وهذه الإشارات، وإن جاءت ضمن سياق الأخبار السنوية أو التراجم، إلا أنها تحمل قيمة كبيرة في فهم الواقع الحضري لبغداد.

إن الأسواق مثلًا لم تكن مواضع للبيع والشراء فقط، بل كانت فضاءات اجتماعية تتكون فيها العلاقات، وتنتشر فيها الأخبار، وتُمارس فيها الحرف، ويُقاس فيها مستوى الرخاء أو الشدة. وكذلك الخانات لم تكن مجرد أماكن لنزول التجار، بل محطات للتبادل الثقافي والاقتصادي، ومراكز لاستقبال الغرباء وربط بغداد بالأقاليم البعيدة. أما الجسور والطرق فكانت شرايين المدينة التي تنتقل عبرها البضائع والناس والأفكار، وتحدد شكل التوسع العمراني، وتؤثر في قيمة الأحياء وارتباطها ببعضها[13].

ومن جهة أخرى، فإن الأحياء السكنية تعكس التكوين الاجتماعي للمدينة. فهناك محلات للأثرياء، وأخرى لأهل الحرف، وأحياء يغلب عليها العلماء أو التجار أو الجند، ومناطق مختلطة تتجاور فيها طبقات متعددة. وكانت بغداد مدينة واسعة متعددة الأجزاء، تجمع بين الرصافة والكرخ وسائر المحلات، مما أوجد تنوعًا اجتماعيًا واضحًا داخلها.

كما أن المدينة لم تكن ثابتة على حال واحدة، بل مرت بتحولات عمرانية واجتماعية متعاقبة. فقد شهدت فترات ازدهار توسعت فيها الأسواق وكثر السكان وارتفعت المباني، وشهدت كذلك فترات اضطراب أصابتها فيها الحرائق والفيضانات والنزاعات وتراجع العمران. وقد انعكس ذلك مباشرة على حياة الناس، من حيث الأسعار والأمن والتنقل والاستقرار.

وسيتناول هذا المبحث ثلاثة مطالب رئيسة. يختص أولها بالأسواق والخانات والحركة التجارية، ويتناول ثانيها الجسور والطرق والأحياء السكنية، أما ثالثها فيبحث في التحولات العمرانية والاجتماعية التي شهدتها بغداد عبر الزمن، وأثر ذلك كله في سكانها. ومن خلال هذه المحاور تتجلى بغداد بوصفها مدينة معيشة يومية، لا مجرد رمز تاريخي بعيد[14].

المطلب الأول: الأسواق والخانات والحركة التجارية

كانت الأسواق في بغداد من أبرز معالمها الاقتصادية والاجتماعية، بل يمكن القول إن المدينة عاشت وازدهرت من خلال أسواقها بقدر ما ازدهرت من خلال علمها وسلطتها. فالعاصمة العباسية لم تكن مقرًا للخلافة فقط، وإنما كانت مركزًا ماليًا وتجاريًا ضخمًا، تتجمع فيه الأموال، وتعرض فيه السلع، وتزدهر فيه الحرف، وتلتقي فيه وفود التجار من مختلف الأقاليم. ولهذا كثرت في بغداد الأسواق المتخصصة والعامة، وانتشرت الخانات والقيصريات والدكاكين، حتى أصبحت المدينة أشبه بشبكة تجارية متصلة لا تهدأ حركتها.

وقد كان من خصائص بغداد أن أسواقها لم تُنشأ عشوائيًا، بل اتسم كثير منها بالتخصص والتنظيم. فكان هناك سوق للوراقين، وآخر للصيارفة، وثالث للعطارين، ورابع للحدادين، وغير ذلك من الأسواق التي حملت أسماء الحرف أو السلع التي تُباع فيها. وهذا التخصص يدل على مستوى متقدم من التنظيم الاقتصادي، كما يعكس كثافة النشاط التجاري وتنوع حاجات السكان. فالمدينة الكبيرة لا تنشأ فيها الأسواق المتخصصة إلا إذا بلغت درجة عالية من التعقيد الحضري.

ويشير *مرآة الزمان* في مواضع متعددة إلى الأسواق عند ذكر الحرائق أو الفتن أو ارتفاع الأسعار أو حوادث النهب أو موت بعض الأعيان المعروفين بالتجارة، مما يدل على أن السوق كان مركزًا حساسًا يتأثر بكل ما يجري في المدينة. فإذا استقرت الأحوال ازدهرت التجارة وكثر الرزق، وإذا اضطرب الأمن تعطلت الحركة وارتفعت الأسعار وخسر الناس أموالهم.

---

[12] الدوري، عبد العزيز .(1984) *العصر العباسي الأول*. بغداد: دار الطليعة.

[13] الفكيكي، بشرى. (2018). نحو مقاربة تفسيرية للأخطاء عند الطفل. في *مقاربات لسانية*، جامعة الحسن الثاني – كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك – مختبر اللسانيات، ص. 157.

[14] الدوري، عبد العزيز .(2005) *دراسات في العصور العباسية المتأخرة*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

وكانت الأسواق أيضًا مواضع اجتماعية يومية، يجتمع فيها الناس من جميع الطبقات. فالتاجر الكبير يجاور صاحب الحرفة، والعالم يمر بها كما يمر العامل، والنساء يخرجن إليها لقضاء الحاجات، والغرباء يجدون فيها ما يحتاجون إليه من السلع والأخبار. ومن هنا كانت السوق مرآة حقيقية للمجتمع البغدادي، يظهر فيها الغنى والفقر، والترف والزهد، والكدح والثراء، والتنوع البشري الواسع[15].

ومن أهم ما ميّز بغداد التجارية اتصالها بالعالم الخارجي. فقد كانت البضائع تصل إليها من خراسان وبلاد ما وراء النهر، ومن فارس والهند والصين عبر الخليج، ومن الشام والجزيرة والأناضول، ومن مصر والمغرب عبر الطرق البرية والمائية. وكانت تُعرض في أسواقها المنسوجات الفاخرة، والتوابل، والعطور، والورق، والمعادن، والأخشاب، والجلود، والكتب، والعبيد، وسائر أصناف التجارة المعروفة في ذلك العصر. وهذا ما جعل بغداد مدينة غنية متعددة الموارد.

ولعب نهر دجلة دورًا رئيسًا في هذه الحركة التجارية، إذ كانت السفن والقوارب تنقل البضائع إلى المدينة ومنها، وتخفف من أعباء النقل البري. وكانت المرافئ النهرية جزءًا من المشهد الاقتصادي لبغداد، حيث تُفرغ الأحمال، وتُخزن السلع، ثم تُنقل إلى الأسواق. ومن ثم فإن الاقتصاد البغدادي كان مرتبطًا أشد الارتباط بالمجرى المائي الذي يخترق المدينة.

أما الخانات، فقد كانت من المعالم الأساسية في هذا النظام التجاري. والخان هو موضع ينزل فيه التجار والمسافرون، وتُحفظ فيه الدواب، وتُخزن فيه البضائع، وقد يضم حجرات للمبيت وساحات داخلية ومخازن واسعة. وكانت الخانات تنتشر قرب الأسواق والطرق الرئيسة، لتسهيل وصول القوافل وتيسير التبادل. وهي تمثل حلقة الوصل بين التجارة البعيدة والتجارة المحلية.

وكان وجود الخانات في بغداد دليلًا على كثرة الغرباء الوافدين إليها، من تجار وطلاب علم ومسافرين وموظفين. وهذا منح المدينة طابعًا عالميًا، إذ لم تكن منغلقة على أهلها، بل مفتوحة على الوافدين باستمرار. وكان هؤلاء يحملون معهم لهجاتهم وعاداتهم وسلعهم، فيسهمون في تجديد الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

كما لعبت النقابات الحرفية وأرباب الصناعات دورًا مهمًا في الأسواق. فلكل حرفة أهلها، ولكل صنعة مهنتها وأسرارها، وقد ينتظم أصحابها في علاقات تعاون أو تنافس. وكان المحتسب يراقب الأسواق، ويمنع الغش، ويضبط الموازين، ويشرف على النظافة والنظام. وهذا يدل على وجود إدارة اقتصادية حضرية تهدف إلى حماية المستهلك وتنظيم التعاملات.

ومن خلال أخبار الأسعار التي ترد في بعض المصادر، يمكن استنتاج مدى تأثر حياة الناس بالسوق. فإذا ارتفع سعر الخبز أو الحبوب، أصاب ذلك عامة السكان، وإذا رخصت الأسعار عُدّ ذلك من علامات الرخاء. وكانت الأزمات السياسية أو الطبيعية، مثل الفيضانات أو الحروب أو انقطاع الطرق، تنعكس سريعًا على الأسواق، مما يجعلها مؤشرًا مباشرًا على أحوال المجتمع.

ولم تكن الأسواق أماكن اقتصادية صرفة، بل كانت فضاءات ثقافية أيضًا. ففي سوق الوراقين مثلًا ازدهرت تجارة الكتب، والتقى العلماء والنساخ والقراء، وتداول الناس المصنفات الجديدة. وربما كانت بعض الأسواق مجالس مفتوحة للنقاش والجدل الأدبي والعلمي. وهذا يبرز أن الاقتصاد في بغداد كان متشابكًا مع الثقافة.

كما كانت الأسواق عرضة للحوادث، ولا سيما الحرائق، بسبب كثرة الأبنية الخشبية والمخازن والمواد القابلة للاشتعال. فإذا وقع حريق في سوق كبير، ترتب عليه ضرر واسع، ليس فقط في الممتلكات، بل في انقطاع أرزاق الناس وتعطل الحركة العامة. ولهذا كانت أخبار الحرائق تُذكر في التواريخ باعتبارها حوادث جسيمة.

ومن الناحية الاجتماعية، أسهمت الأسواق في الحراك الطبقي. فقد يبدأ الإنسان صغيرًا بدكان محدود، ثم ينجح في تجارته حتى يصبح من كبار التجار وأهل اليسار، وربما بنى مدرسة أو رباطًا أو تولى وظيفة عامة. وهكذا فتحت التجارة أبواب الصعود الاجتماعي في بغداد، بخلاف المجتمعات المغلقة التي تُحتكر فيها المكانة.

إن الأسواق والخانات والحركة التجارية كانت العمود الفقري للحياة البغدادية. فمن خلالها توافرت الأقوات، وانتشرت الصناعات، وتحركت الأموال، وتداخل الناس، واتصلت بغداد بالعالم. ولهذا فإن دراسة هذه المعالم تكشف مدينة حية نشطة، لا تعرف السكون[16].

المطلب الثاني: الجسور والطرق والأحياء السكنية

[15] حسن، إبراهيم حسن .(1996) *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي* (ج4). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
[16] زكي، أحمد فؤاد .(1981) *بغداد مدينة السلام* .بغداد: وزارة الثقافة والإعلام.

تُعد الجسور والطرق والأحياء السكنية من أهم العناصر التي تشكل البنية المادية لأي مدينة، لأنها ترتبط مباشرة بحركة السكان، وانتقال السلع، وتنظيم المجال العمراني، وتوزيع الناس داخل الفضاء الحضري. وقد كانت بغداد، بحكم اتساعها وانقسامها بين جانبي دجلة، بحاجة دائمة إلى وسائل ربط وتنقل فعالة، وهو ما جعل الجسور والطرق من المعالم الأساسية في تاريخها.

وكان نهر دجلة يمنح بغداد مزايا اقتصادية ومائية كبيرة، لكنه في الوقت نفسه يفرض تحديًا عمرانيًا، إذ يفصل بين جانبي المدينة الشرقي والغربي. ولهذا ظهرت الجسور، ولا سيما الجسور العائمة المصنوعة من السفن المربوطة، التي استخدمت على نطاق واسع في العصور الإسلامية. وكانت هذه الجسور تسمح بانتقال الناس والدواب والعربات والبضائع بين الرصافة والكرخ، وتحافظ على وحدة المدينة رغم انقسامها الطبيعي.

وتشير الأخبار الواردة في *مرآة الزمان* إلى الجسور عند الحديث عن الفيضانات أو إصلاح الطرق أو اضطراب الأمن، مما يدل على أهميتها الحيوية. فإذا انقطع الجسر تعطلت مصالح الناس، وتأخرت التجارة، وصعب الوصول بين الجانبين، وربما انعزلت بعض المناطق عن الأخرى. ولذلك كانت صيانة الجسور مسألة تتعلق بالأمن الاقتصادي والاجتماعي معًا[17].

أما الطرق، فقد كانت شرايين الحركة داخل بغداد وخارجها. فالطرق الداخلية تربط الأسواق بالأحياء والمساجد والمدارس والقصور، بينما تربط الطرق الخارجية المدينة بسائر الأقاليم. وكان حسن الطريق يعني سرعة الحركة وسلامتها، وسوء الطريق يعني تعطيل التجارة وتعب السكان. ولهذا اهتمت السلطات أحيانًا بإصلاح الطرق وتمهيدها وتنظيفها.

وكانت بعض الطرق الرئيسة في بغداد ذات قيمة اقتصادية عالية، لأنها تمر بالأسواق أو تقود إلى المرافئ النهرية أو تصل إلى أبواب المدينة. وكلما نشط الطريق ازداد العمران على جانبيه، وارتفعت قيمة العقارات فيه، وكثرت الدكاكين والخدمات المحيطة به. وهكذا كان الطريق يصنع الحي بقدر ما يخدمه.

أما الأحياء السكنية، فقد عرفت بغداد تنوعًا واسعًا فيها. وكان من أشهر تقسيماتها الكبرى الكرخ في الجانب الغربي، والرصافة في الجانب الشرقي، ثم تفرعت منهما محلات كثيرة لكل منها شخصيتها الاجتماعية والمهنية والمذهبية أحيانًا. وكانت بعض الأحياء قريبة من الأسواق ومراكز النشاط، فتسكنها طبقات التجار والحرفيين، بينما وجدت أحياء أهدأ يغلب عليها السكن العائلي أو سكن العلماء والموظفين.

وكانت البيوت البغدادية تتفاوت تفاوتًا كبيرًا بحسب المستوى الاجتماعي. فهناك دور واسعة ذات ساحات داخلية وحدائق ومرافق متعددة، تسكنها الأسر الميسورة، وهناك بيوت أصغر وأكثر بساطة تسكنها الطبقات الوسطى والعاملة. وقد عكست هذه الفوارق العمرانية التفاوت الاقتصادي داخل المجتمع.

كما كان للحي دور اجتماعي مهم. فالناس يتعارفون داخل المحلة، ويتعاونون في المناسبات، ويتشاركون المسجد والسوق الصغير ومصادر الماء. وكان الانتماء إلى الحي جزءًا من هوية الفرد، إذ يُعرف أحيانًا باسم محلته أو زقاقه. وقد أسهم هذا التنظيم المحلي في تقوية الروابط الاجتماعية وفي إدارة الحياة اليومية.

وتأثرت الأحياء كثيرًا بالأحداث العامة. فإذا وقع حريق في محلة، تضرر سكانها وتشرد بعضهم. وإذا فاض النهر، غرقت مناطق منخفضة. وإذا حدث اضطراب أمني، أغلقت الأزقة والأسواق. ولذلك كانت حياة السكان مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بسلامة البنية العمرانية.

ومن الظواهر اللافتة أن بعض الأحياء ارتبطت بحرف معينة أو جماعات وافدة من أقاليم محددة، مما أوجد نوعًا من التخصص الاجتماعي داخل المدينة. فقد يقيم أهل حرفة معينة متقاربين، ليسهل التعاون بينهم، أو يسكن القادمون من إقليم واحد في منطقة متجاورة لما بينهم من روابط سابقة.

كما لعبت الأزقة الضيقة والممرات الداخلية دورًا دفاعيًا واجتماعيًا، إذ وفرت شيئًا من الخصوصية والأمان، وقللت من أثر الحر والرياح، وخلقت فضاءً داخليًا أكثر حميمية. وكانت الحياة اليومية في هذه الأزقة غنية بالتفاعل بين الجيران، خاصة في المناسبات والأعياد والأزمات.

[17] السامرائي، قحطان عبد الرحمن .(2001) *بغداد في التاريخ الإسلامي* .بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

إن الجسور والطرق والأحياء السكنية لم تكن عناصر ثانوية في بغداد، بل كانت الإطار الذي يتحرك داخله المجتمع كله. فمن دون الجسر تنقسم المدينة، ومن دون الطريق تتعطل الحياة، ومن دون الحي يفقد الناس شبكة علاقاتهم الأساسية. ولهذا فإن فهم بغداد الاجتماعي يمر بالضرورة عبر فهم بنيتها المكانية[18].

المطلب الثالث: التحولات العمرانية والاجتماعية في بغداد

لم تكن بغداد مدينة ثابتة على صورة واحدة، بل مرت بتحولات مستمرة منذ تأسيسها، تأثرت فيها بالعوامل السياسية والاقتصادية والطبيعية والاجتماعية. وقد نقل *مرآة الزمان* إشارات متعددة إلى هذه التحولات، من بناء وتجديد وخراب وفتن وغلاء وفيضانات وتغير في أحوال الناس، وهو ما يسمح برسم صورة ديناميكية للمدينة عبر الزمن.

في فترات القوة العباسية والاستقرار السياسي، ازدهر العمران، واتسعت الأسواق، وكثرت الأبنية العامة والخاصة، وازدادت الهجرة إلى المدينة. وكان الأمن يجذب التجار والعلماء والعمال، فتزداد الكثافة السكانية، ويُقبل الناس على البناء والاستثمار. وفي مثل هذه الفترات كانت بغداد تتوسع ماديًا وبشريًا في آن واحد.

أما في فترات الضعف والصراع، فقد كانت المدينة تدفع ثمن ذلك مباشرة. فالفتن بين القوى المتنافسة، أو النزاعات بين الجند، أو ضعف السلطة المركزية، كانت تؤدي إلى اضطراب الأمن، ونهب بعض المناطق، وتعطل التجارة، وارتفاع الأسعار، وهجرة بعض السكان. وهكذا يتبين أن العمران في بغداد كان شديد الحساسية تجاه السياسة.

وكانت الفيضانات من أبرز العوامل الطبيعية المؤثرة في المدينة، بحكم ارتباطها بدجلة. فإذا ارتفع منسوب الماء أكثر من المعتاد، غمرت المياه بعض المناطق، وتهدمت البيوت الضعيفة، وتعطلت الطرق، وخسر الناس أموالهم. وإذا انخفض الماء أو اختل نظام الري، تأثرت الزراعة والإمدادات الغذائية. ولهذا كان النهر مصدر نعمة وخطر في آن واحد.

كما تعرضت بغداد للحرائق، وهي من الحوادث المتكررة في المدن القديمة. وكان الحريق إذا أصاب سوقًا أو حيًا مكتظًا أدى إلى خسائر واسعة. وقد يترتب عليه انتقال السكان، أو إعادة تخطيط بعض المواضع، أو تدخل الدولة في الإصلاح. ومن هنا كانت الكارثة أحيانًا مدخلًا لتجديد العمران[19].

وشهدت المدينة كذلك تغيرات اجتماعية ناتجة عن الهجرة والوافدين. فبغداد، بصفتها عاصمة كبرى، استقبلت باستمرار جماعات من العلماء والتجار والجند والعمال والطلاب. وكان هؤلاء يضيفون إلى نسيجها الاجتماعي عناصر جديدة، ويزيدون من تنوعها الثقافي والمهني. لكن هذا التنوع كان قد يسبب أيضًا تنافسًا على الموارد والمكانة.

ومن مظاهر التحول الاجتماعي أيضًا تغير توزيع الثروة. ففي بعض الأزمنة ازدهرت طبقة التجار والموظفين، وفي أزمنة أخرى تراجعت أحوال الناس بسبب الغلاء أو الضرائب أو الاضطراب. وكانت هذه التحولات تنعكس على شكل العمران، إذ تُهجر بعض الدور، أو تُباع الممتلكات، أو تُبنى مساكن جديدة في مناطق صاعدة.

كما أن المؤسسات الوقفية لعبت دورًا في مواجهة التحولات. فالمدارس والربط والخوانق والبيمارستانات التي قامت على الأوقاف وفرت قدرًا من الاستقرار الاجتماعي، لأنها استمرت في أداء وظائفها حتى مع تغير الحكام أحيانًا. وهذا يبين أن المجتمع البغدادي لم يكن معتمدًا كليًا على السلطة السياسية، بل امتلك أدوات ذاتية للتوازن.

ومن الجوانب المهمة كذلك أن بعض المعالم فقدت مكانتها مع الزمن، بينما صعدت معالم أخرى. فقد يضعف سوق قديم ويزدهر سوق جديد، أو تنتقل الكثافة السكانية من حي إلى آخر، أو يتحول موضع كان للنخبة إلى منطقة عامة. وهذه الحركة تعكس حيوية المدينة وقدرتها على إعادة تشكيل نفسها.

وكانت الكوارث والأزمات تترك آثارًا نفسية واجتماعية إلى جانب آثارها المادية. فالغلاء يولد القلق، والنهب يضعف الثقة، والخراب يدفع إلى الهجرة، بينما الرخاء يولد التفاؤل والاستقرار. ولذلك فإن التحولات العمرانية لا تنفصل عن التحولات في مزاج السكان وسلوكهم.

ومن خلال أخبار الوفيات والتراجم، يمكن ملاحظة أن بغداد احتفظت رغم الأزمات بمكانتها العلمية والاجتماعية مدة طويلة. فقد استمرت تجذب العلماء والطلاب، واستمرت مؤسساتها تعمل، مما يدل على قوة البنية الحضارية للمدينة. فالأزمات كانت تضعفها لكنها لم تُفقدها مكانتها سريعًا.

إن التحولات العمرانية والاجتماعية في بغداد تكشف أن المدينة كانت كائنًا حيًا يتأثر ويقاوم ويتجدد. فهي ليست مجرد أبنية جامدة، بل مجتمع يتحرك مع الزمن، يصعد ويهبط، يضعف ثم يستعيد شيئًا من عافيته. وهذا ما يجعل دراسة بغداد ممتعة وعميقة في آن واحد[20].

---

[18] العزاوي، عباس. (2004). *تاريخ العراق بين احتلالين* (ج3). بغداد: الدار العربية للموسوعات.

[19] النعيمي، عبد القادر بن محمد. (1990). *الدارس في تاريخ المدارس*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة التي تناولت المعالم التاريخية في مدينة بغداد من خلال كتاب *مرآة الزمان* لسبط ابن الجوزي، يتبين بوضوح أن بغداد لم تكن مجرد عاصمة سياسية للدولة العباسية، وإنما كانت مدينة حضارية متكاملة اجتمعت فيها عناصر القوة الدينية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية. فقد استطاعت هذه المدينة، منذ تأسيسها، أن تتحول إلى مركز عالمي جذب العلماء والتجار والفقهاء والأدباء والصناع، وأن تبني لنفسها مكانة راسخة في تاريخ الحضارة الإسلامية.

وقد أظهرت نصوص *مرآة الزمان* أن المعالم العمرانية في بغداد لم تكن أبنية جامدة أو شواهد صامتة، بل كانت مؤسسات حية تؤدي وظائف متعددة في حياة السكان. فالمساجد والجوامع كانت مراكز للعبادة والتعليم والتوجيه الاجتماعي، والمدارس والربط والخوانق مثلت محاضن للعلم والتكافل والتربية الروحية، بينما عكست القصور والدور الرسمية صورة السلطة والإدارة والتنظيم السياسي. كما كشفت الأسواق والخانات عن ازدهار الحركة التجارية واتساع شبكة العلاقات الاقتصادية، في حين أبرزت الجسور والطرق والأحياء السكنية مدى التطور الحضري الذي بلغته المدينة.

وتبين من خلال الدراسة كذلك أن بغداد كانت مدينة ديناميكية متحركة، تتأثر بالاستقرار والاضطراب، وتنمو في فترات القوة، وتتعرض للضعف في أزمنة الفتن والأزمات والكوارث الطبيعية. ومع ذلك، فقد احتفظت المدينة بمكانتها قرونًا طويلة، بفضل ما امتلكته من بنية حضارية قوية، ومؤسسات علمية واقتصادية واجتماعية ساعدتها على الاستمرار.

كما أثبت كتاب *مرآة الزمان* قيمته بوصفه مصدرًا تاريخيًا مهمًا لدراسة المدن الإسلامية، إذ لم يقتصر على سرد الحوادث السياسية، بل حفظ كثيرًا من الإشارات المتعلقة بالعمران، وأحوال الناس، والأنشطة الاقتصادية، والمؤسسات العامة، وهو ما يمنح الباحث فرصة لفهم الحياة الحضرية في بغداد من منظور أوسع وأعمق.

إن بغداد، كما بدت في هذه الدراسة، لم تُبنَ بالحجارة وحدها، بل بُنيت بالعلم، والإدارة، والعمل، والتجارة، والإيمان، والتنوع الاجتماعي. ولهذا استحقت أن تكون واحدة من أعظم مدن التاريخ الإسلامي، وأن تبقى حاضرة في الذاكرة الحضارية للأمة.

النتائج

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج المهمة، يمكن إجمالها فيما يأتي:

أولًا، أثبتت الدراسة أن مدينة بغداد كانت نموذجًا متقدمًا للمدينة الإسلامية الكبرى، حيث اجتمعت فيها الوظائف السياسية والدينية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية في إطار عمراني متكامل.

ثانيًا، تبين أن المساجد والجوامع في بغداد لم تكن مخصصة للعبادة فقط، بل أدت أدوارًا تعليمية واجتماعية وإدارية، وأسهمت في تنظيم الحياة العامة وتعزيز الروابط بين السكان.

ثالثًا، كشفت الدراسة أن المدارس والربط والخوانق مثلت مؤسسات حضارية متقدمة، كان لها دور كبير في نشر العلم، وإيواء الطلبة، ورعاية الفقراء، وترسيخ الحياة الفكرية والروحية في المدينة.

رابعًا، أظهرت الدراسة أن القصور والدور الرسمية كانت انعكاسًا مباشرًا لطبيعة السلطة العباسية، وأنها لعبت دورًا سياسيًا وإداريًا وثقافيًا داخل المجتمع البغدادي.

خامسًا، اتضح أن الأسواق والخانات كانت العمود الفقري للاقتصاد البغدادي، وأسهمت في ربط بغداد بشبكات التجارة الداخلية والخارجية، وجعلتها مركزًا اقتصاديًا عالميًا في عصرها.

سادسًا، بينت الدراسة أن الجسور والطرق كانت عنصرًا أساسيًا في وحدة المدينة وتنظيمها، وأنها ساعدت على تسهيل انتقال السكان والبضائع بين جانبي بغداد ومختلف أحيائها.

سابعًا، كشفت الدراسة أن الأحياء السكنية في بغداد عكست تنوعًا اجتماعيًا ومهنيًا وثقافيًا واضحًا، مما يدل على حيوية المجتمع البغدادي وتعدده.

ثامنًا، تبين أن بغداد تعرضت لتحولات عمرانية واجتماعية مستمرة نتيجة الفتن السياسية والفيضانات والحرائق والأزمات الاقتصادية، إلا أنها امتلكت قدرة كبيرة على التكيف والاستمرار.

---

[20] شبارو، أحمد .(2010) *الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي*. بيروت: دار الفكر المعاصر.

تاسعًا، أثبت كتاب *مرآة الزمان* أنه مصدر مهم لدراسة التاريخ الحضري والاجتماعي، وليس فقط التاريخ السياسي، لما تضمنه من إشارات دقيقة إلى المعالم العمرانية وأحوال المجتمع.
عاشرًا، أكدت الدراسة أن ازدهار بغداد كان مرتبطًا بالاستقرار السياسي والقوة الاقتصادية، بينما كان التراجع العمراني يزداد في فترات الضعف والاضطراب.

التوصيات

في ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، يمكن تقديم عدد من التوصيات العلمية والبحثية، من أهمها:
أولًا، ضرورة توجيه مزيد من الدراسات الأكاديمية إلى التاريخ الحضري والاجتماعي للمدن الإسلامية، وعدم الاقتصار على التاريخ السياسي التقليدي.
ثانيًا، تشجيع الباحثين على دراسة مدينة بغداد من خلال مصادر تاريخية أخرى، مثل كتب التراجم والرحلات والحسبة والجغرافيا، من أجل تكوين صورة أشمل عن حياتها العمرانية والاجتماعية.
ثالثًا، الاهتمام بتحقيق النصوص التاريخية التي لم تُدرس بعد، ولا سيما تلك التي تتضمن معلومات عن الأسواق، والأحياء، والمؤسسات العامة، لما لها من أهمية في فهم تاريخ المدن.
رابعًا، الدعوة إلى إعداد دراسات مقارنة بين بغداد ومدن إسلامية أخرى مثل دمشق والقاهرة وقرطبة، من حيث التنظيم العمراني والاقتصادي والاجتماعي.
خامسًا، الاستفادة من نتائج الدراسات التاريخية في دعم جهود الحفاظ على التراث العمراني لمدينة بغداد، وتعزيز الوعي بقيمتها الحضارية.
سادسًا، توظيف المناهج الحديثة في دراسة المدن التاريخية، مثل الجغرافيا التاريخية، وتحليل الفضاء الحضري، والدراسات الاجتماعية، من أجل قراءة أكثر عمقًا للمصادر القديمة.
سابعًا، إعداد خرائط علمية للمواقع التاريخية في بغداد اعتمادًا على المصادر التراثية، وربطها بالدراسات الأثرية الحديثة.
ثامنًا، تشجيع الجامعات ومراكز البحوث على تخصيص مشاريع علمية لدراسة الحضارة العباسية من منظور المدينة والمجتمع والمؤسسات.
تاسعًا، العناية بكتاب *مرآة الزمان* وغيره من المصادر الموسوعية، لما تحتويه من مادة علمية غنية تصلح لدراسات متعددة التخصصات.
عاشرًا، تعزيز الوعي الثقافي العام بأهمية بغداد التاريخية، بوصفها إحدى أعظم العواصم التي أسهمت في بناء الحضارة الإنسانية والإسلامية.

المراجع:

سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزغلي بن عبد الله. (2013). *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان* (تحقيق: محمد بركات وآخرون، الأجزاء 1–10). دمشق: دار الرسالة العالمية.
ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. (1992). *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم* (تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا). بيروت: دار الكتب العلمية.
الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت. (2001). *تاريخ بغداد* (تحقيق: بشار عواد معروف). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي. (1995). *معجم البلدان*. بيروت: دار صادر.
ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد الجزري. (1997). *الكامل في التاريخ* (تحقيق: عمر عبد السلام تدمري). بيروت: دار الكتاب العربي.
ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. (1998). *البداية والنهاية* (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي). القاهرة: دار هجر.
المقدسي، محمد بن أحمد شمس الدين. (1991). *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*. القاهرة: مكتبة مدبولي.
ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي. (2002). *رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*. بيروت: دار صادر.
الدوري، عبد العزيز. (1984). *العصر العباسي الأول*. بغداد: دار الطليعة.
الدوري، عبد العزيز. (2005). *دراسات في العصور العباسية المتأخرة*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

حسن، إبراهيم حسن .(1996) *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي* (ج4). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
زكي، أحمد فؤاد .(1981) *بغداد مدينة السلام* .بغداد: وزارة الثقافة والإعلام.
السامرائي، قحطان عبد الرحمن .(2001) *بغداد في التاريخ الإسلامي* .بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
العزاوي، عباس .(2004) *تاريخ العراق بين احتلالين* (ج3). بغداد: الدار العربية للموسوعات.
النعيمي، عبد القادر بن محمد .(1990) *الدارس في تاريخ المدارس* .بيروت: دار الكتب العلمية.
شبارو، أحمد .(2010) *الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي* .بيروت: دار الفكر المعاصر.
الجبوري، محمد حسين .(2015) *النظام العمراني لمدينة بغداد في العصر العباسي* .بغداد: جامعة بغداد – كلية الآداب.
الفكيكي، بشرى. (2018). نحو مقاربة تفسيرية للأخطاء عند الطفل. في *مقاربات لسانية*، جامعة الحسن الثاني – كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك – مختبر اللسانيات، ص. 157.